Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العاصي. . يريد نهر العاصي الشهير وعليه تقع مدينة «حماة». فضلا عن توريته بمعرة النعمان ـ من حيث يريد المعنى البعيد وهو «العار».

* * * *

هذه ألوان مختلفة من أساليب الطريقة الفاضلية، وهي كما ترى أشبه بروضة غناء. . طيورها السجع، وزهرها البديع وعبيرها أسرار البيان، ولكنها أتت الزمان على الهرم، وهبت عليها ريح العجمة وهي عقيم، فصوح الزهر، وجف البرعم وقصف الردى غصنها الرطيب، وفي ذلك يقول القلقشندي: وإنما تقاصرت الهمم عن التوغل في صناعة الكتابة والأخذ منها بالحظ الأوفى، لاستيلاء الاعاجم وتوسيدها لمن لا يفرق بين البليغ والأنوك، لعدم إلمامه بالعربية، والمعرفة بمقاصدها، حتى صار الفصيح لديهم أعجم، والبليغ في مخاطبتهم أبكم) ولعله ما ألف كتابه الضخم «صبح الأعشى في صناعة دواوين الإنشاء إلا ليتدارك به ما عزب وفات، ولكن هيهات هيهات؛ فقد باتت الكتابة: قشوراً لماعة على لب رث غث اعجف، وانتهكت حرمة المعاني فصارت خدماً ذليلة للألفاظ»[1]. . فليس العيب إذاً عيب الطريقة الفاضلية في حد ذاتها، وإنما عيب خلفائه الذين حرموا الطبع والموهبة فلم يحسنوا صنعه، وإنحرفوا عن الجادة.

* * * *

«وبعد» فهذه هي (مدارس الكتابة)، أو التيارات الأدبية في النثر العباسي استنبطنا خصائصها الفنية من تراثها المأثور، بالاستقراء الشامل، والتوافر الكامل، والموازنة الدقيقة. . . تلك الكتابة التي بدئت بعبد الحميد، وختمت بابن العميد. كما يقول الثعالبي[2].

غير أن من الباحثين المحدثين من تحفظ في ذلك ومنهم من أنكرها على اطلاقها، محاولاً الغض من صاحب الطريقة البديعية التي ظهرت فبهرت وجذبت نحوها الأنظار كالأستاذ خليل[3] مردم الذي يرى السجع ـ وغيره من

---

(١) فن الإسجاع جـ ١/١٣١

(٢) اليتيمة = ٣/١٥٥

(٣) ابن العميد (خليل مردم)/٤٨